# وثائق وأحداث

## اللغات الاساسية والعربية

بقلم الدكتور ريمون طحان

١

لم يكن تعليم اللغات الحية أو البائدة يعتمد قديماً على الاحصاء : وكان طالب اللغات يحشو ذاكرته بقوائم من المفردات والصيغ لا يعرف درجة شيوعها ، وكانت ذاكرته تتمثل ما تستطيعه مهملة أحياناً الهام لحفظ التافه ؛ وعازفة عن الجوهر للتعلق بالسطحي .

وقد يلاحظ الطالب الآن ان العلماء قد سعوا في تسهيل اللغة وتيسيرها وانتقوا مفردات وصيغاً كثيرة الشيوع والاستعمال قد اصبحت محور مؤلفاتهم وذلك لنشر لغة ميسرة ومبسطة تخضع للاحصاء ولمجموعة من النواميس العلمية والروائز التجريبية . واستطاع الغرب تطبيق علم الاحصاء على اللغة وتسخيره لها في سبيل الوصول الى الهدف بأنجع الوسائل وبأقرب الطرق .

**تاريخ اللغات الاساسية :**

لم يكن المربون والمدرسون قبل تطبيق نظريات الاحصاء على اللغة يطلبون من المبتدئين معرفة أصول اللغة كافةً وحفظ المصطلحات العلمية الدقيقة ؛ بل كانوا يختارون لهم المفردات الضرورية والنصوص المتدرجة في الصعوبة ، ولكنهم كانوا يقومون بعملية الانتقاء والاصطفاء بشكل اعتباطي . إذا تصفحنا مثلاً كتاب لغة الصف الرابع الابتدائي التقليدي وأحصينا ما ورد فيه من كلمات لوجدناه يعجّ بمفردات متنوعة لا حصر لها ؛ فواضع الكتاب لا يشترط في التلميذ معرفة مفردات الكتاب كافةً بل يعهد اليه انتقاء تلك التي يرى ضرورة لحفظها . وكنّا نلحظ ؛ نتيجة لما تقدم ؛ ان الاكثرية الساحقة من التلامذة — ما عدا فئة موهوبة — لا تتحكم إلا بمجموعة مفردات محدودة قد تقل عن كلمات اللغات الأساسية التي لا يتجاوز عادة عددها ١٥٠٠ كلمة . لا نريد أن نعرّض بهذا النوع من

طرق تدريس اللغات إذ كانت عملية التدريس تمتد على عدد كبير من السنوات وإذ كان يسود الاعتقاد ان العودة الى النصوص الأدبية هي الطريقة الناجعة لتزويد الطلاب بالمفردات الضرورية ولكننا نقول : بقدر ما يتمكن الطالب . في سن مبكر . من اللغة . بقدر ما تكون مكتسباته أوفر عدداً . وثقافته أمتن مادة . ثم ان اللغة ليست مادة علمية بحدّ ذاتها بل هي وسيلة وأداة لتعلم وإذا استطاع المتعلم السيطرة على مبادئ اللغة الأساسية أمكن الجدل اللغوي العقيم وتركه الى الاختصاصيين وانصرف الى كسب معلومات حديثة وعلمية تجعل منه شاباً مثقفاً قد يهمل البغائية ليفكر ؛ وقد يتمثل ما هو ضروري له من اللغة ليكتسب معارف عامة جديدة ؛ وليطلع على منتجات العالم الحديث .

عرف الغرب هاتين الحقيقتين وأول من قام بتيسير اللغة هم الانكليز الذين حاولوا ؛ رغم المكانة التي تتمتع بها لغتهم . ايجاد وسائل لنشرها واستنبطوا لهذه الغاية طريقة اسموها Basic English وما برح أن حذا حذوهم الفرنسيون الذين حددوا المفردات الأساسية والصيغ الصرفية والنحوية الغالبة الشيوع والاستعمال واطلقوا على طريقتهم اسم Le français fondamental وهكذا قد اهتمت انكلترا وفرنسا في مطلع هذا القرن بتسهيل لغتيهما وتيسيرهما ونشرهما على سكان مستعمراتهما للذود عن مصالحهما التجارية ونفوذهما السياسي . وقد وجد علماء اللغة الفرنسيون والانكليز ؛ بعد زوال العهد الاستعماري ؛ ان الطرق التي اتبعت في استنباط اللغات الميسرة تصلح كبدإ علمي وكنقطة انطلاق لتجديد العلوم اللغوية . وقد يتبادر الى خاطرنا السؤال التالي : هل نستطيع الاقتداء بالغرب وتجديد العلوم اللغوية العربية وتطبيق مبادئ التيسير والاحصاء على لغتنا ، اي هل نستطيع استنباط لغة عربية أساسية ؟

إن اللغة من نتاج المجتمع وهي مقياس لرقي الأمة ومدى قابليتها للتطور ولمسايرة متطلبات الحياة العصرية . تكافح اللغة العربية في سبيل البقاء ساعية لطي مراحل التخلف بعزيمة لا تكل ؛ جاهدة في ربح المعركة كسائر اللغات التي يزود عنها ابناؤها البررة ؛ الناطقون بها . غزت البلاد العربية افكار وآراء مغرضة خلاصتها ان اللغة العربية جامدة وبائدة . وأول من عمد الى القضاء على اللغة العربية واحلال اللغات الاجنبية محلها هم المستعمرون الذين اعتبروا ان لغاتهم تحمل الحضارة والتقدم ، وان لغات الشعوب

المستعمرة لغات متأخرة أصيبت بالهرم والعقم ولذا نادى بعضهم بنبذ اللغة العربية ودعا لاستعمال لغته في البيت العربي والمعمل والمدرسة وحتى في التخاطب بالأمور اليومية ولكن ما لبث أن نادى آخرون واكثرهم من المستشرقين بالحفاظ على اللغة العربية وأخذوا يساعدون العربية على النهوض من كبوتها لتشق لنفسها طريق البقاء ، وتحتل مكانتها كلغة عالمية . وتستعيد امجادها وحيويتها ، وتعود الى ما كانت عليه في عصور ازدهارها .

إن اللغة العربية ذات أمجاد غابرة ولكنها لا تستطيع اللحاق بركب الحضارة العالمية إلا إذا خضعت للتجديد والاحصاء . إن معاملة اللغة العربية على ضوء مبادئ الاحصاء والطرق التي اتبعتها اللغات الأساسية أمر ضروري قد يؤمن للعربية شيئاً من السيطرة والنفوذ ، وقد يؤدي الى ايجاد لغة عربية حديثة قد تفي بمقتضيات العصر الحاضر .

## مشكلتا تيسير اللغة وتدريسها :

يحسب البعض ان جمال لغة ما يكمن في صعوبتها . إن العالم الحديث لا يعتبر اللغة كنقش أو كرمز عويص الحل ، بل يعتبرها كأداة تعبير يجب أن تخلو من غريب الكلام ووحشيه ، ومن قواعد معقدة يخرج اكثرها عن المألوف . ان الناس يعزفون في الوقت الحاضر عن تعلم اللغات الصعبة . ويأبون صرف طاقاتهم وإضاعة وقتهم لتمثل قواعد تكثر فيها الشواذات . وذلك مما يثبط همة المتعلم . فالشواذات التي تملأ كتب اللغة قد تكون قليلة الاستعمال . وقد لا تظهر في لغة الخطاب . فما الفائدة من إهمال الحالات السوية لدراسة حالات شبه مستحيلة . وما الغرض من تعقيد البسيط عوضاً من تبسيط المعقد . وما الغاية من ترك السهل للتعلق بالعويص والصعب ؟ تطالب الاكثرية الساحقة من الناس بلغة ميسرة وبطرق تدريس فعالة قد تؤدي سريعاً الى نتائج ملموسة . وهكذا نرى ان مصير اللغة العربية مثلاً منوط بأمرين : أمر تيسيرها وأمر تجديد طرق تدريسها ومن المؤكد أننا نسدي للغة العربية خدمات جليلة عندما نجد مبادئ ثابتة لتيسيرها وطرقاً جديدة لتدريسها وعندما نقضي على الخرافة الراسخة في العقول والمنتشرة بين الناس والتي تدعي أن صعوبة اللغة العربية ناشئة ومنبثقة من نوعيتها . يجب علينا أن نبيّن بالأدلة القاطعة أن صعوبة العربية نتيجة حتمية لعقم طرق دراستها وتدريسها .

## نحو تيسير العربية :

عندما نتكلم عن تيسير اللغة العربية لا ننادي بإحلال العامية او الدارجة او غيرها من اللهجات محل العربية الفصحى ؛ بل نعير اهتمامنا الكلّي إلى هذا النوع من اللغة العربية الشائعة التي يطلق عليها المستشرقون تسميات متعددة (العربية الحديثة ـ العربية الأدبية الحديثة ؛ العربية الوسيطة ؛ العربية الجديدة الرفيعة ، العربية الأدبية المعاصرة ...) والتي نسميها نحن اللغة العربية المكتوبة الحديثة أو لغة الجرائد والتي نحرر بها اليوم المؤلفات الأدبية والعلمية والمقالات والصحف والبحوث العلمية والأحكام القضائية والفتاوى والرسائل الرسمية والخاصة اي مجمل انتاجنا الأدبي المكتوب .

تتألف اللغة العربية كسائر اللغات من مجموعة كلمات ومن بعض الصيغ الصرفية والنحوية المتداولة . وعلينا ، في سبيل تيسير العربية ، الابتعاد عن الموازنات العاطفية وعن الجدل العقيم والانصراف إلى تحديد كمية الكلمات والصيغ التي تؤلف اللغة الأساسية . لم يكن في وقت من الأوقات هدفنا اختراع لغة جديدة بل كانت دوماً غايتنا استثمار العلم والاحصاء لايجاد لغة عربية سليمة وميسرة . يحدد العلم والاحصاء كمية الكلمات المتداولة ونوعيتها والصيغ الأساسية الضرورية وتراعي عمليات الإحصاء أموراً فنّية كانتقاء النصوص وصنع الجزازات وترتيب مفردات اللغة في جداول حسب قرينة التواتر والتوزيع والتوارد الى الخاطر ... فالطريقة العلمية المتبعة في اللغات الأساسية معقدة ولذا يجب علينا أن نقول كلمة موجزة عن كل من أهم مراحلها أو المبادئ التي اتبعت فيها :

١ ـ **انتقاء النصوص** : يعتمد الاحصائي نصوصاً من مختلف انواع الانتاج المكتوب المعاصر ويخضع إلى عمليات الاحصاء النصوص المطبوعة كالمراسلات الرسمية والروايات والشعر الحديث ومقالات الصحف والقصص والرسائل الخاصة ووظائف انشاء الطلاب وما ينتجه تلامذة المدارس وقد يبلغ عدد الكلمات الذي يهتم به الاحصائي بضعة ملايين ويشترط عادة ألا يقل عن المليون .

٢ ـ **احصاء المفردات** : يكِلُ الإحصائي أمر المفردات الواردة في نصوصه إلى قرينة التواتر degré de fréquence التي أثبتت أن الأدوات

تأتي في طليعة جداول التواتر فالأفعال فالصفات فالمفردات الحسّية . إننا نفتش أحياناً عن كلمة ولا نجدها فنقول باللغة العامية إنها على « رأس لساننا » وإذا تفحصنا نوع تلك الكلمة المنسية للاحظنا أن النسيان يقع في اكثر الحالات على اسماء الأعلام فاسماء الأشياء فالأفعال وقلّما تكون الكلمة المنسية صفة ويندر أن تكون حرفاً أو أداة فهذان النوعان الأخيران من الكلمات يقاومان النسيان وقد أثبتت التجارب المخبرية أن النسيان لا يداهم مجموعة الكلمات بكاملها بل يقع على طبقات متلاحقة فيصيب أولاً اسماء الأعلام فاسماء الأشياء الحسية فالمجردة منها فالصفات فالأفعال وفي آخر الأمر الأدوات والحروف وهكذا يتبين لنا ان ما نراه أمرًا عجيباً قد يأخذ أبعاده الطبيعية وقد يفسّر بعلم النفس والإحصاء معاً اللذين أثبتا ان الحروف والأدوات والأفعال تبقى عالقة في الذاكرة بسبب ارتفاع تواترها وان اسماء الأعلام والأسماء الحسية تغيب عن الذاكرة بسبب ضعف تواترها، فهناك إذاً علاقة ما بين درجة التواتر والنسيان : فكل كلمة مرتفعة التواتر تبقى عالقة في الذهن وكل كلمة ضعيفة التواتر تكون عرضة للنسيان .

٣ — **النصوص والتواتر والتوزيع** : عندما نقوم بعمليات الاحصاء اللغوي نجمع العيّنات من نصوص تعالج مختلف المواضيع ونلاحظ ان كل عيّنة صادرة عن موضوع معين تتسم بمفردات تميزها عن غيرها من المواضيع فكلمة قانون مثلاً تكون ضعيفة التواتر في مجموعة نصوص تعالج شتى شؤون الحياة العامة بينما يرتفع تواترها في النصوص الحقوقية ولذا وجب على الإحصائي اعتبار قرينة جديدة تسمى قرينة التوزيع والتي تنجم عن طبيعة النص . علّق بعض الاحصائيين أهمية كبرى على قرينة التوزيع بينما أهمل البعض الآخر هذه القرينة وأفرغوها من كل معنى وذلك بتنويعهم النصوص المنتقاة بحيث تتعادل حظوظ الكلمات في قوة التواتر وضعفه .

٤ — **المفردات الكامنة المتواردة الى الخاطر** : لقد سبق لنا وعرّفنا الكلمات المتواترة ونذكر الآن نوعاً آخر من المفردات نسميها الكامنة المتواردة الى الخاطر disponibles . لقد تبيّن لنا أن اسماء الأعلام والاشياء الحسية والمجردة تكون ضعيفة التواتر والمعلوم ان هذه الكلمات ضرورية في اللغة الأساسية إذ ان الأدوات والحروف المرتفعة التواتر لا تعبر عن المفاهيم بحد ذاتها ولا تؤلف جوهر الخطاب بل أطره ويتعلق خاطر الانسان بالجوهر ولا يهتم بالأطر .

في حالة تداعي الفكر : تتبادر الى الخاطر الاسماء المحسوسة ولا تصلح الروابط والأدوات إلا للتعبير المنطقي عن العلاقات القائمة بين الأشياء وقد ميّز علماء اللغة والمربون والأطباء وعلماء النفس مفهوم التواتر عن مفهوم التوارد الى الخاطر وقالوا بهذا الصدد : يعيش الانسان في كل وقت وفي كل ساعة مواقف معينة situations يستعمل للتعبير عنها المفردات الكامنة المتواردة الى الخاطر والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك المواقف والتي تنتظم كالعقد حول مراكز الاهتمام centres d'intérêt . ان انتظام زمر من الاسماء حول مراكز اهتمام معينة أمر لا يعود تقديره الى الوهم والخيال بل هو حدث قد أثبتته التجربة وروّزه تداعي الافكار . كل مركز اهتمام يثير تداعي الفكر فتجتاح الذاكرة اعداد من المفردات الحسيّة ذات علاقة بمركز الاهتمام فيقوم الفكر حينئذ بعملية انتخاب واصطفاء منتقياً اسماً واحداً من زمرة اسماء تتنازع لتنبه عن وجودها. واصطفاء الكلمة المناسبة يحل النزاع ولكنه يجعل المتكلم يشعر بوجود كلمات أخرى أبى انتقاءها وشعر بوجودها . تؤلف زمرة المفردات التي تجتاح الذاكرة الكلمات المتواردة الى الخاطر وجلّها من الاسماء بعكس ما حصل للكلمات المتواترة . وهكذا اسهمت هذه الحقيقة العلمية مساهمة فعّالة في حل مشكلة تحديد المفردات صاحبة الأولوية في الاستعمال وأدخلت معياراً جديداً نستطيع أن نأخذ به في تحديد جداول الألفاظ التي تتألف منها اللغة الأساسية .

د ــ المفردات المتواترة والكامنة المتواردة الى الخاطر : قد يتساءل المرء : ما الفائدة من معرفة المبادئ التي تقدم ذكرها وما الغرض من تعريف مفهومي التواتر والتوارد الى الخاطر ؟ فنقول : إننا نبحث عن المفردات الضرورية والمحدودة عدداً والصالحة لحاجات التعبير ولذا . انطلاقاً من هذه الحقيقة . نطرح على أنفسنا مجموعة من الاسئلة : أنأخذ بمبدإ التواتر دون سواه أو علينا اهماله والطعن في صلاحه ؟ أنعتمد قرينة التواتر أو علينا سلوك طريقة تؤدي الى حل وسط يأخذ بالتواتر ويسعى لتحديد عدد تعابير اللغة الأساسية بقرائن أخرى ؟ يجب اعتبار قرينة التواتر كما أنه يجب عدم اهمال قرينة التوارد الى الخاطر . علينا أن نستخلص من التواتر ما نستطيعه : اي جداول كلمات مرتفعة التواتر : الأدوات واشباهها : الأفعال . الصفات : بعض اسماء الزمن والكنايات والجهات : ثم علينا استدراك ما نحتاج اليه من المفردات بواسطة التوارد الى الخاطر : لكي نتمكن في آخر الأمر من كتابة ثبت بالمفردات التي انتقيناها وبشكل ثبتنا هذا مجموعة المفردات الأساسية .

٦ – إحصاء الصيغ الصرفية والنحوية : قام الاحصائيون لمعرفة الصيغ الصرفية والنحوية الشائعة بعمليات معقدة واستخدموا الجزازات وقرينة التواتر وقد استطاعوا معرفة خصائص اللغة معرفة علمية وبُيانية قد تُقدم للمعلم المبتدئ مجموعة من المعلومات تساعده على القيام بمهمة التدريس على أكمل وجه .

٧ – نتائج الاحصاء اللغوي : ورب معترض يقول : لماذا تريدون اعتماد الاحصاء والقيام بعمليات حسابية دقيقة لتحديد اللغة الأساسية : اتركوا الأمر إلى معلمي المدارس الابتدائية أو سلموه الى فئة من خريجي دور المعلمين الابتدائية وقد يستطيع أفراد احدى هاتين الفئتين ، متكافلين متضامنين : القيام بمهمة انتقاء واصطفاء الكلمات الأكثر شيوعاً والصيغ الأكثر استعمالاً ؟ !. ألا يستطيع مثقف يتمتع بروح نقدية اقتناء معجم وتفحص مفرداته وغربلتها : ألا يستطيع هذا المثقف نفسه إبعاد الغريب والحوشي من المفردات والاحتفاظ بعدد محدود منها دون اللجوء الى الاحصاء ؟ نقول إن حلاً كهذا سوف يبوء بالفشل الذريع وإذا أراد أحدنا أن يتفحص المعجم لطرد الحوشي منه ولغربلة اللغة لتوصل إلى انتقاء ٥٠٠٠ أو ٦٠٠٠ مفردة ولكنه سرعان ما يصادف صعوبات جمّة لعدم تحديده تواتر الكلمات فيحتار حينئذ في أمره ويقر بعجزه . إن عدم الأخذ بقرينة التواتر واللجوء الى انتقاء عدد محدود من المفردات بشكل اعتباطي قد يؤديان الى عمل سطحي وقد استعاض البعض عن عمليات الاحصاء بعمليات قد تتصف بالعلمية : ومن الطرق التي شاعت بهذا الخصوص الاستعانة بشبكة التعاريف والاحتفاظ بالمفردات التي تدل على مفاهيم عامة أو تطبيق طريقة التاسخ والمنسوخ للحصول على عدد محدود من المفردات او اختيار عدد من المفردات بطريقة الاعتباط . وقد تبدو هذه الطرق كمنافذ موقتة للخروج من مآزق حرجة ولكن أنّى لها القيمة العلمية المتوفرة في الطريقة الاحصائية ؟ عوّل واضعو اللغات الأساسية على جداول المفردات المرتبة وفق قرينة التواتر وقرينة التوارد الى الخاطر وانتقوا منها الكلمات السائرة والمتداولة التي تعبر عن واقع الحياة اليومية والتي تفي بحاجات الوجود، وتتكون اللغات الأساسية التي استنبطت على هذا النمط من ألفاظ تستعمل في العلاقات الإجتماعية البسيطة كالعمل اليومي والبيع والشراء ووسائل النقل والمرافق العامة ... كما بذل المهتمون باللغة الأساسية كل جهدهم لاغناء حقل مفردات لغة المدرسة والتربية فجاءت لغتهم تفي حاجات الثقافة وتصلح كأداة لنشر التربية الأساسية .

٨ – **تطبيق الاحصاء اللغوي على اللغة العامية :** كرّس بعض الاحصائيين جلّ اهتمامهم للغة العامية أو الدارجة أو المحكية وقد حدتهم رغبة صادقة على صنع المحال لخدمة لغة الكلام الدارجة إذ لا يقتصر تدريس اللغات في عصرنا الحاضر على قراءة النصوص المكتوبة ومعالجة اللغات الحيّة كاللغات البائدة بل يتعدى هذه المرحلة ويتوخى جعل التلامذة يعبرون عمّا يخالجهم بلغة الحياة والمحيط .

إن وجود آلات التسجيل يجعل الآن ممكناً ما كان يعدّ سابقاً مستحيلاً وقد أتاحت الآلة عمليات احصاء اللغة المحكية ولكنّ تلك العمليات لا تزال من الأعباء الشاقة والدقيقة والمعقدة .

استعان الاحصائيون في مطلع هذا القرن بالحاكي phonographe الذي يضمن الأمانة في نقل الصوت ولكنّ هذه الآلة كثيرة الكلفة وصعبة النقل ولذا ما عتم ان انتشرت فكرة الاستعانة بالآلات المسجلة magnétophones السهلة النقل والقليلة الكلفة وأخذ اللغويون يجمعون مادتهم على الشريط المسجل وكانوا يقومون بعمليات تسجيل الأشرطة وتحويلها الى صفحات مكتوبة بأقصى السرعة تلافياً لبعض النقص الذي قد يحدث اثناء التسجيل وكانوا يتثبتون من محتويات نصوصهم المسجلة والمكتوبة مراعين شروط الدقة والأمانة وذلك قبل تسليمها إلى اخصائيين سوف يعاملونها فرزاً وإحصاء تماماً كما تعامل اللغة المكتوبة . وهكذا اخذ مجال الابحاث اللغوية بالاتساع وطبّقت على اللغة المحكية قوانين وروائز أعدّت للغة المكتوبة وأصبحت اللغة المحكية تخضع لمبادئ سليمة منها : معرفة قرينة تواتر الكلمات في اللغة المحكية ومعرفة المفردات المتواردة الى الخاطر وذلك لتحديد كمية المفردات التي تصلح للغة المحكية ، استنباط لغة محكية تتسم بطابع علمي ؛ إخضاع اللغة المحكية لروائز يقيس مدى فهمها وذلك لتطويرها وجعلها تتلاءم مع حاجات الحياة .

٩ – **عمليات تدقيق اللغات الأساسية المكتوبة والمحكية :** تكتفي اللغات الأساسية باصطفاء ما يقارب ١٥٠٠ مفردة منها اسماء ومنها أفعال وأدوات . تأتي الاسماء في الطليعة وتبلغ نسبتها المئوية ٤٧٪ ثم تعقبها الأفعال التي تبلغ نسبتها في الفرنسية الأساسية مثلاً ٢٣٪ بينما تتدنى هذه النسبة في الانكليزية الميسرة ولا تبلغ إلا ٢٪ اذ استعاض واضعو Basic English عن الأفعال بأشباهها ، ثم تخلفها الأدوات التي تبلغ نسبتها ١٧٪ وتأتي أخيراً نعوت الأسماء والأفعال واسماء الصوت . ويتيح هذا العدد المحدود من

الكلمات للكاتب التعبير عن أفكاره وقد أصبح للغات الأساسية انتاج أدبي ميسّر لم تستعمل فيه إلا مفردات اللغة الأساسية وصيغها وقد بيّنت التجارب التي أجريت على طلاب اتبعوا دروساً في اللغة الأساسية أنهم يستطيعون بعد ثلاثة أشهر من الدراسة السيطرة على لغة أساسية معينة؛ فهم يفهمون بعد هذه المدة القصيرة نسبياً ٨٠٪ من لغة المحادثة و ٧٠٪ من مقالات الصحف والجرائد والمجلات و ٦٦٪ من الأدب القصصي و ١٦٪ من النصوص العلمية وقد جاءت الروائز بهذا الخصوص مشجعة ونأمل أن نرى في يوم قريب اللغات الأساسية. وقد حددت لها عدة مستويات؛ تتدرج بالطالب من السهل إلى الصعب ومن اللغة التي تُعنى بحاجات الحياة اليومية الى لغة تعبر عن شؤون الحياة الاجتماعية والثقافية والفنية والفكرية.

١٠ — **عملية خاصة باللغة العربية** : إن دراسة الناحية البنيانية في اللغة العربية أوقعت الباحثين في حيرة واضطراب مؤلمين. تمسّك العرب بالاشتقاق وعالجوا بالتفصيل الأصول الثنائية والثلاثية والرباعية وأسهبوا في الكلام عن قضية الأصول الثلاثية وعلاقتها بكافة انواع المشتقات وتركوا أمر علاقة المفردات بمراكز الاهتمام وبالحقول المفهومية مبهماً خلواً من التحديد والتعريف وأهملوا طرق الاعتماد على الناسخ والمنسوخ المطبقة في الـ Basic English والاحصاء المطبق في الفرنسية الأساسية. وعلى الباحث في اللغة الأساسية العربية أن يستثمر بالاضافة الى المبادئ التي طبقت في اللغتين الانكليزية والفرنسية الإمكانيات الكامنة في طبيعة اللغة العربية وفي بنيتها ولا يجوز له أن يتمسك بقرينة التواتر والتوارد الى الخاطر وغيرهما من القرائن وأن يتناسى مشكلة اشتقاق اللغة العربية فهناك كلمات ومفردات تنحدر من أصل واحد يجب أن تصنف في جداول اشتقاقية تبيّن عدد الكلمات التي تلتفّ حول أصل واحد وقد تكمل هذه العملية ما جاءت به منهجية الألسنية الحديثة.

**اللغة الأساسية وطرق التدريس :**

يشكو المربّون من صعوبة تدريس العربية وقد نادى الكثيرون منهم بضرورة تيسير اللغة العربية الحديثة كما كشف بعضهم الآفة الحقيقية وطالبوا بهجر طرق التدريس العقيمة واتباع طرق حديثة تتماشى مع مقتضيات العصر الحاضر. طرح الأب آلار Allard على بساط البحث مشكلة تجديد

تدريس اللغة العربية في مقال له نشرته مجلة *Travaux et Jours* n° 27, avril-juin 1968 تحت عنوان *Pour une pédagogie moderne de l'arabe* حث فيه العاملين في حقل العربية على نبذ الطرق التقليدية والتقيد بالأساليب الحديثة التي قد تؤدي الى نشر اللغة العربية وتعميمها ؛ والكل يعلم ما يحوق اللغة العربية من الأخطار ولذا يجب حماية اللغة العربية من سيطرة اللغات العالمية الحديثة ونفوذها والقضاء على أساليب تعليم العربية البالية والتي ترجع في الصرف والنحو خاصة الى ما قبل الف عام !

وبما ان الاحصاءات اللغوية أدت الى انتهاج سنن جديدة في تدريس اللغات . لماذا لا تستفيد العربية من الطرق الجديدة التي اتبعتها خاصة اللغة الأساسية ؟ تتحلى هذه الأخيرة بالعلمية وتتألف من كلمات مرتفعة التواتر تشكل أطر اللغة ومن اسماء محسوسة تنتخب بواسطة قرينة التوارد الى الخاطر وتشكل محتوى اطر اللغة ، وتسهيلاً لعرض هذا الموضوع نستطيع القول : إن اللغة تتألف من مجموعة من الكلمات بعضها موضوعي thématique وبعضها غير موضوعي athématique .

تتمتع الكلمات غير الموضوعية بتواتر مرتفع ونحن نستعين بها للتعبير عن المواضيع كافة ونصنف في هذه الزمرة العوامل والحروف والأدوات وعدداً كبيراً من الأفعال ومن اسماء الكنايات والمبهمات . لا تتمتع الكلمات الموضوعية بتواتر مرتفع وهي تتألف من اسماء الاشخاص والاشياء المحسوسة . وقد أدى مفهوم [الموضوعي وغير الموضوعي] إلى تطبيق هام في عملية التدريس والتعليم : تتألف اللغة من كلمات غير موضوعية وكثيرة الشيوع ؛ فعلى المربي الناجح أن يوليها جل اهتمامه ؛ ثم تتألف اللغة من مفردات موضوعية تنتظم حول مراكز اهتمام معينة ؛ وعلى المربي الناجح أن يعين مراكز الاهتمام وأن يحدد أهم الكلمات التي تتعلق بتلك المراكز ؛ وخلاصة القول : ان اللغة الأساسية تتألف من عدد محدود من الكلمات الموضوعية وغير الموضوعية التي كشفت أو حددت علمياً .

يخشى البعض أن تكون اللغة الأساسية مغلقة على نفسها قد لا تفي إلا بالحاجات اليومية . إن اللغة الأساسية تنفتح لاستقبال كل جديد وقد ساعدت بطرقها الحديثة على ترويج لغات العلوم والفنون . فيستطيع مثلاً الراغب في التمرس على اللغات تعلم الصيغ الأساسية مع شيء يسير من المفردات الحسية أو الموضوعية ثم بعد اكتسابه الصيغ الأساسية اي القوالب

اللغوية يقرن هذه بالمصطلحات العلمية والمفردات الخاصة بالعلوم والفنون التي يريد التخصص بها وهكذا لا تكون اللغة الأساسية المبسطة إلا سبيل الوصول الى اللغات الاختصاصية .

اذا كانت اللغة الأساسية أداة ناجعة لنشر العربية فعلينا أن نفتش عن الفئات التي قد تستفيد من الطرق الجديدة . يهم أمر تعلم اللغة العربية فئتين من الناس ، العرب والاجانب :

في العالم العربي اكثر من عشرة ملايين من التلامذة يدرسون في المعاهد الابتدائية وتبحث هذه الأجيال الصاعدة عن ضالتها دون أن تجد لها الكتب المدرسية الملائمة وهي لا تزال تنتظر كتباً وضعت على أسس علمية وطبقت فيها علوم الاحصاء ومبادئ اللغة الأساسية كما أن في العالم العربي عدداً كبيراً من البالغين الأميين المنتشرين في مشرق العرب ومغربه وهم بحاجة إلى التربية الأساسية اي ذلك الحد الأدنى من الثقافة الذي يسعى اليه المواطن الأمي الذي حرم من الدراسة الابتدائية والذي يبذل قصارى جهده في تلافي ما فاته . إن اللغة الأساسية أداة فعّالة للتعليم الابتدائي ولمكافحة الأمية ومحوها ولنشر التربية الأساسية .

في العالم الغربي أناس يريدون دراسة اللغة العربية للتخصص والاطلاع على تراثنا والتبحر في علومنا وآدابنا فيجب علينا أن نحقق رغبة من يسعى للتفرغ لهذه المهمة السامية ثم ان التبادل التجاري والمشاريع الكبرى التي تتمخض في هذه البقعة من العالم بالذات تدفع عدداً من البالغين الأجانب الذين يجهلون العربية بالقدوم الى بلادنا فحسبهم رغبة الولوج في عالمنا وتفهم حضارتنا وهم لا يتطلعون إلى الماضي بل ينظرون الى المستقبل ويسعون جاهدين لتقديم ما انجزه عالمهم المتمصنع في حقلي العلوم والتقنية إلى عالمنا المتأخر فنياً وهم يرغبون في تعلم لغة عربية ميسّرة قد تصلح كوسيلة في عملية نقل خبراتهم لعدد من العرب يجهلون اللغات الأجنبية ، وأخيراً هناك أغراب لا يلتمسون تعلم العربية إلا لأسباب تنبع من صميم الحياة والواقع وهم يريدون تعلم لغة مبسطة بوقت قصير وهم لا يرون في اللغة آية أو تحفة فنية رائعة تستحق الاعجاب والتبجيل بل أداة تؤمن منفعة مباشرة كالأخذ والعطاء والبيع والشراء والسياحة والزيارة ...

## مستقبل اللغة العربية الأساسية :

ان الأسباب الموجبة التي أدّت الى تيسير اللغات عديدة وقد آلت بعض المؤسسات العالمية على نفسها كالجامعات الشهيرة والمعاهد الشرقية في روما وباريس وكمبردج وميشيغان وبيروت (معهد الآداب الشرقية للآباء اليسوعيين) خدمة اللغة العربية الأساسية واستعمالها كأداة لنشر الثقافة العربية والعلم الحديث. وإذ نتمنى لهذه المؤسسات اطراد النجاح والتوفيق نأمل أن نرى في العالم العربي نفسه مؤسسات تتفهم مبادئ التيسير وذلك لنشر العلم والتعليم ولاتخاذ انجع الوسائل لتعميم الثقافة الشعبية ومحو الأمية. إن باب الاجتهاد مفتوح لكل من يريد الاهتمام باللغة الأساسية وبالعلوم اللغوية الاحصائية الحديثة النشأة ولا يسعنا إلا أن نؤكد أننا نرى في اللغة الأساسية بغية العرب، وندعو في الختام بالتوفيق لكل من تدفعه رغبة صادقة الى تيسير العربية وتعريف أصولها ومعالجة مشكلاتها ونأمل ان نرى اللغة العربية تدخل معركة البقاء: والبقاء للأفضل: وتخرج منها ظافرة مظفرة لتحتل المكانة اللائقة بها كلغة حية يتكلم بها ما يقارب المائة مليون نسمة وكلغة حضارة يتسم بها جزء هام من العالم الحديث.

## المراجع

*The Basic English and its uses*, by C. A. Richards, London.

*The system of Basic English*, by C. K. Ogden.

*L'élaboration du français fondamental*, par G. Gougenheim, R. Michéa, P. Rivenc, A. Sauvageot, Paris, 1964.

*L'arabe vivant*, par Charles Pellat, Paris, 1952.

*Introduction à l'arabe moderne*, par Charles Pellat, Paris, 1956.